قصة
ثلاثة أيام للحب
"بعض الأشخاص المجانين
في هذه الحياة لا يمكن
إصلاحهم"
نهلة يوسف

قصة

ثلاثة أيام للحب

"بعض الأشخاص المجانين
في هذه الحياة لا يمكن
إصلاحُهم."

ثقة يوسف

" كُلُّ ما كُتِبَ هُنا هو خيالٌ ليس إلَّا، لا تُصدِقه البتة... لكن لن يُمكِنكَ الجزمُ أبدًا أن مِثله لن يَحدث في هذا العالم"

كنتُ أعلم أن ارتياد هذه الثانوية المعروفة بسوءِ السمعة أمرٌ خاطئ، وكنت أدرك جيدًا أن الشائعات المنتشرة عن الطالب "رايفن ألتيمر" ليست بالكذبات إطلاقًا، فأنا ــمنذُ رأيته لأول مرةــ أيقنتُ أنه فتى ملعونٌ بطريقة أو بأخرى.

من المضحكِ بالنسبة لي القول أن شعوري بالنفور أو الغرابة تجاهه قد تحول إلى اهتمامٍ ضئيلٍ ينبض في قلبي، ظللت أراقبه من بعيدٍ منذ أول يوم وصلت فيه إلى هذه المدرسة، كنت أعلم مسبقًا عن الشائعات المظلمة حَوله، فتى في الصف الثالث الثانوي أحبَّ حتى الآن ثلاث مرات، ثلاثة فتيات وكلهن... كلهن قد مِتن بطريقة أو بأخرى، ولما تأكدت الشرطة ألا علاقة له بأيٍ من حوادث موتهن فقد بقى هنالك مجالٌ لتفسيرٍ واحدٍ فقط ليتناقله الناس... رايفن ملعون، كلما اقترب منه شخص... يموت.

هو فتى شديدُ الذكاء حقًا، أرى ذلك من درجاته الممتازة في كل اختبار خضناه حتى الآن، كان متفوقًا حتى في أصعب العلوم ــفي الرياضيات والفيزياءــ تلك التي لم أستطع أن أحرز فيها أنا أكثر من نصفِ الدرجة، أظن أن وحدته الظاهرة للجميع وعزلته التي لا بد وأن فُرِضت عليه قد منحته وقتًا كثيرًا بمفرده ولا عجب أن استغله في التركيز على دراسته، ورغم ذلك فإن شعور الحزن الطفيف بين الفينة والأخرى يتسلل إلى قلبي فيغمرني الأسى على حاله لما أراه يتناول غداءه وحيدًا منعزلًا في ركنٍ بعيد عن الآخرين، حتى عندما يعطينا المعلمُ واجبًا يسترعي العمل في مجموعات فإن عدم رغبة أحدٍ في ضمه إلى مجموعته كانت مؤلمة حتى بالنسبة لمشاهدٍ من بعيد مثلي، أظنني أنا التي لا تملك إخوة في البيت قد عشتُ شعور الوحدة بين الجدران الباردة لكني هنا في المدرسة المملوءة بالضجيج أُحاط بأصدقاء دافئين، فماذا عنه هو؟... بعد أن مات كُل من تقرب منه وأضحت الجدران الباردة تخنقه حتى وهو بين الحشود.

في أحدِ الأيام عقب أن انتهت عطلة منتصفِ العام الدراسي استوقفتني صديقة لي، كانت تتحدثُ معي عن مناقشة خاضتها زميلاتنا ليقررن مشاعري دونما حتى تكليف أنفسهن بمشورتي، لقد قيل أنني واقعة في حبِ الملعون رايفن ألتيمر؛ مراقبتي الدائمة له وعبوسي

الذي لا ينقطع لما أرى وحدته، حتى تلك الابتسامة الطفيفة التي ترتسم على محياي عند إعطائه ورقة اختباره التي تحمل درجاتٍ مثالية، قلن أنني أشرد في عينيه السوداوين وأتأمل شخصه الكئيب دائمًا، بالرغم من أنني لم ألحظ أنا نفسي مقدار تركيزي مع الفتى الغريب فإن صديقتي التي حدثتني لم تُبدِ مطلقًا سعادتها باهتماماتي، لقد همست لي بوجهٍ شديد الجدية:

"لا تهتمي بالشخصِ الخطأ، لقد ماتت ثلاثُ فتيات... فما المانعُ من أن تكوني الرابعة؟"

"لا تقلقي، أنا لستُ مهتمة به"

وقد كنتُ أبتلع ريقي قبل أن أرد عليها لأنني أعلم أني كنتُ أكذب.

بعدئذٍ بدأ الجميعُ يثرثرون، كان المراهقون بطبيعتهم يحبون الإشاعات، التهور والتحدث عن الآخرين، فعندما أفتح باب الصف لأدلف إلى الحجرة الدراسية تخفت بعض الأصواتِ فور رؤيتي ويتظاهر البعض الآخر أنهم منشغلون بتخبط، رغم صمتهم فإن بعض الأصوات قد استطاعت الوصول إليَّ، الجميع كان موقنًا أن الطالبة الجديدة قد وقعت في حب الفتى الملعون وأغلبهم قد كان يتراهن على الطريقة التي سألقى بها حتفي، في الساعة الثانية بعد الظهرِ من نهارٍ ممتلئ بغيومِ نوفمبر وبينما كنتُ عائدة إلى الصف لجلبِ كتابٍ نسيته وأنا لا أنفك أشتم ذاكرتي التي جعلتني أضطر للعودة بعد انصرافِ الجميع التقيتُه.

كان جالسًا في مقعده يرتب دفاتره استعدادًا للانصراف، عيونه السوداء قد حدقت فيَّ بحدة بينما خصلاتُ شعره الفاحم كانت تحجبُ شيئًا من تلك الحدة، أخفضت بصري وتحركتُ بتوترٍ جعل يديَّ ما تتوقفُ عن الارتعاش، على الرغم من أننا في صفٍ واحد، على الرغمِ من أننا نرى بعضنا يوميًا وتلتقي نظراتنا في قليلٍ من الأحيان فإنني لم أكن وحدي معه قط، ليس وهو يحدق فيَّ بكل هذا الغِل.

الكتاب في يدي بدا شديد الثقل، والبابُ من بُعدِه أضحى يحتاجُ إلى سفر، الغيوم حجبت ضوء شمسِ الظهيرة حتى لتظن أن الليل حل، لكن اضطرابي ظل يشلني ولم أستطع إلَّا الاستمرار في التحديق برايفن، وضع حقيبته على كتفه وتوجه نحو المخرج، كان يعطيني

ظهره وهو يشرع بالحديث، لربما يكره رؤيتي أو يتعجل الخروج، لربما يحاول إخفاء تعبيره أو لا رغبة لديه في جعل نفسه ككتابٍ مفتوح، لكنه لم يستطع إخفاء الارتعاش الكئيبِ في نبرته وهو يقول لي:

"تعلمين أن الجميع بات يتحدث عنا ــأنا وأنتِــ وأجزم بأنك تعرفين مسبقًا ما يقولونه عني، تعلمين أن مشاعرك التي وصلتني من خلال أحاديثهم ستؤذيكِ، تعرفين أن ملعونًا مثلي لن يُحَبَ مجددًا"

تلك الكلماتُ كانت كالترنيمة التي لا تنفك تعيدُ نفسها داخل رأسي، ثمَّ في اليومِ التالي والذي يليه والذي يليه أيضًا لم يحضر رايفن الملعونُ إلى المدرسة.

إن كانت هذه قصة خيالية فلستُ المناسبة لأكون البطلة، صحيحٌ أن والدتي قد ماتت وهي تلدُني وألا إخوة آخرين لي إلَّا أن والدي اللطيف لم يدخر جهدًا ليجعل حياتي كريمة بما يكفي، إن كان هنالك ألمٌ يصقل روحك حتى يسمو بها فيجعلها روح بطلٍ فذاك الألم لا يعرفني البتة، لكني أظن أن رايفن ألتيمر على عكسي تمامًا، لديه من الندوبِ ما يجعل مخيلتي تنسج خيوطًا تربط بينها فتحيلها إلى قصة تراجيدية للغاية، وأظنني دونما قصدٍ مني قد زدتُ من وقع المأساة عليه، مشاعري التي تحدث عنها الجميعُ وحكموا عليها دون أن يستشرني بشأنها أحد قد وصلت إليه بأكثر الطرق خطأً، لم يكن ما بداخلي حب... ليس بَعد... أحسبه فضولًا ليس إلَّا تجاه الملعون، وأيقن أني بحاجة إلى شرحِ كل شيءٍ له، لكي لا يتعذب بحبي الغير موجود، ولكي لا يزداد إيمانه بلعنة يصدقها الجميع ما عداي أنا.

"ليس من الضروري أن أموت إذا ما اقتربتُ منه، أليس كذلك؟"

سألتُ نفسي وأنا أراه يدخل إلى القاعة الدراسية، شعره كان مبعثرًا ووجهه بدا كئيبًا أكثر من أي يومٍ آخر والأسوأ أنه عندما طلب منه المعلم أن يحل سؤالًا شديد السهولة أجاب ببساطة أنه لا يعرف الحل، هو لم يكن بخير، وأنا لم أكن لأنتظر مزيدًا من الوقتِ حتى أُصلح ما أفسدتُه، عند نهاية اليوم الدراسي دفعتُ بورقة مطوية إلى درجه، لم أنتظر لأفسر له رغم نظراته المتعجبة بل أسرعت خطاي نحو مكان اللقاء، كنتُ قد كتبت له

بداخل الورقة أن يلقاني، خلف الملعب الرياضي عندما ينتهي الدوام، وبالفعل عندما بدأ حر النهار الشديد بالزوال وهبت رياحٌ محملة برائحة أمطارٍ بعيدة للغاية رأيته يسيرُ ببطء إلى أن أصبح يقفُ قبالتي، يحمل حقيبته على كتفه ويرفع رأسه بسكونٍ فقط بانتظار ما أنا على وشك قوله، لكن بحلولِ اللحظة التي فتحت فيها فمي لأنطق، لأفسر كل سوءِ فهمٍ جعله كئيبًا سبقني هو بكلماتٍ لم أتوقع أن أسمعها قط...

"أنا أحبك"

قالها بوضوحٍ شديد جعل قلبي ينبض بسرعة، الفتى الملعون لم يكن يرتجف ولم تزغ عيناه بعيدًا عن عيني عندما اعترف بما يحمله قلبه، كان غير متوقعٍ وغريبَ أطوارٍ حتى في خياراتِ قلبه، فلماذا أنا؟ لماذا من بين كُل الناسِ أُمنح حبه؟ أضللته أحاديثُ الآخرين حتى بدأ يحبني اعتقادًا منه أن قلبي يحمل نفس تلك المشاعر؟ أم أن وراء الستارِ جانبًا آخر مخفيًا بستر، في النهاية لم تخرج أفكاري إلى العلنِ وأُختُزِلت إلى مجردِ سؤالٍ تافه لم يبح بما يضج بداخلي.

"لماذا؟"

سألته والزمن لم يعد يتفق مع عقلي أبدًا، كانت الثواني كالدهور ونسماتُ الهواءِ التي تداعب بشرتي تصفعني بقوة ريثما أنا بانتظار جوابه، وفي النهاية ابتسم، ابتسامة طفيفة شقت طريقها لترتسم على شفتيه وهو يقول لي:

"لا يحتاجُ الحب إلى سبب، أُدرك أنكِ لا تُبادليني أية مشاعر؛ وأن أحاديث الآخرين حول قلبك وميله لصاحبِ اللعنة لهي كذباتٌ ليس إلَّا، لكني سأطلبُ من ذلك القلب الذي لا يميلُ لي أن يمنحني فرصة ويقبل حُبي، أرى بوضوحٍ أنك اقتربتِ مني وراقبتِني، لذا فإن لعنتي لا تُخيفُكِ"

" لا وجود للعنات"

همستُ وأنا غير قادرة على ترتيبِ أفكاري، قلبي ينبض بقوة بينما نظراته تسبب القشعريرة لجسدي، وجددًا همستُ عقب أن استجمعتُ شتات نفسي:

" إن تكرر الأمر مرتين فهو مصادفة، أمَّا المصادفة الثالثة تصبحُ قدرًا، إن كانت لعنتُك موجودة فهي قدرك وقدر أولئك الفتيات الثلاث، بالنسبة إليَّ فلكل إنسانٍ قدرٌ مختلف ومصيرٌ منفصل وليس من الضروري ــإذا ما قبلتُ حبكــ أن تكون نهايتي كنهايتِهن... يا رايفن ألتيمر فلتمهلني ثلاثة أيام لأُفكر بعرضك وأتأكد حول ميول قلبي، وبعدها سأمنحُك الرد"

كنتُ قد بدأت أشك بأن نبض قلبي عند التحديقِ في عينيه ينمُ عن مشاعرٍ ستولد، لكني لم أكن لأسمح لزهرة حبي بأن تتفتح وسط حقلٍ من الأشواك، أردت التيقن من أمر اللعنة حتى لا أسمح لحبي أن تشوبه شائبة، حتى أُحبه بصدقٍ وأقبَلَهُ بكلِ كآبته وهدوئه، وأحتضن تعاسته ووحدتَه بدِفئي، ولأجل ذلك في خلالِ هذه الأيام الثلاث أردتُ أن أكتشف ماهية اللعنة الغامضة.

فتحتُ دفتر ملاحظاتي الصغير لأكتب ما أسمع، زميلتي التي كانت تعرف الفتاة المتوفية قد رحبت بسرورٍ بأمرِ تحقيقي وأخبرتني جل ما تعرفه، الفتاة الثالثة اسمها "تيرتيا أردور" وقد أحبت الفتى الملعون عندما كانا في الصفِ الثاني الثانوي، تمت مشاهدتُهما معًا كثيرًا وقد بدت أنها كانت تدعمه بشدة وتساعده ليخرج من ظلامه الذي أعقب موت الفتاة الثانية، القصة التي أخبرتني بها زميلتي لم تكن كاملة لكن العنوان الذي أعطتني إياه لمنزل والدي تيرتيا قد أفادني كُلَّ الإفادة، بحلول المساءِ كنت أقف على عتبة الباب وأرن جرسهم منتظرة مَن يدعوني للدخول، وبعد لحظاتٍ فتحت لي امرأة في نهاية ثلاثينياتها الباب، كان وجهها عابسًا وتحمل بين يديها رضيعًا يأبى أن يكف عن البكاء، هزت رأسها إيجابًا عندما سألتُها إذا ما كانت والدة تيرتيا أم لا، وعندما دعتني لدخول منزلها أيقنتُ أن الحياة لن تتوقف عند موت أحد، وأن والديك لن يحزنا أبد الدهر على فراقك، وأن إخوتك الأصغر الذين لم ترهم يومًا سيولدون بعد دفنك في التراب، وقد كان الرضيعُ الذي كف عن البكاءِ أخيرًا ينظر إليَّ بعينين فضوليتينِ، همستُ له بأنني في مثل عمر شقيقته الراحلة بينما خمنت

أن عمره هو لم يتجاوز الثمانية أشهر، عند عودة الأم من المطبخ قدمت لي كأس شايٍ ساخنًا وحدثتني بترحابٍ عن ذكرياتها مع طفلتها الراحلة.

كانت تيرتيا فتاة مرحة للغاية، مندفعة ومتهورة بشدة، لكن والديها ظلا يحبانها حتى عندما رفضت أن تنصاع لأوامِرهما بشأن اختيار حبها، في أحدِ الأيام أتت بفتى يماثلها عمرًا إلى المنزل، كان هادئًا وغامضًا لكنه بدا يحمل ابتسامة تثير فضولك لتقترب منه أكثر وأكثر، أخبرت الفتاة والديها أنهما حبيبان وعندما علم الوالدان لاحقًا أن هذا الفتى الشاب كان بالفعل قد اقتيد إلى مركز الشرطة مرتين للتحقيق في وفاة مَن أحبهن قبلًا فقد رفضا بشدة أن تحبه ابنتهما مرة ثالثة.

الأم التي تنهدت وهي تسرد لي ذكرياتها المقلقة قد عقدت حاجبيها وواصلت حديثها مخبرة إياي بهدوءٍ لا بد وأنها زيفته ببراعة أن ليلة ممطرة من ليالي أكتوبر قد حلت عندما غادرت فتاتُها المحبوبة للمبيت في منزل عمتها، استغل الوالدان الفرصة لدعوة الفتى الذي يستميتان لفصله عن طفلتهما إلى العشاء، تحدثوا كثيرًا وتيقنا في كل دقيقة تمر أن رايفن شخصٌ مهذبٌ ولطيف وشديد الهدوء، لربما موت من أحبهن محضُ مصادفة، وليس من الضروري أن تكون ابنتهما هي الثالثة، لكنهما نسيا أن المرة الثالثة دائمًا قدر، وحينما بدأت الأم تتراجع عن نيتها ثبت الأب وأخبر رايفن بكلِ أسفٍ مصطنع أن ابنتهما تيرتيا ترفضه بشدة، وأنه لما كانت لا رغبة لها بالبقاء معه يجب عليه الابتعاد عنها بهدوء، رايفن كان قد طبق كلامهما بقلبٍ مكسور، وطفلتُهما تيرتيا التي لم يعلما حينها أنها لم تكن في منزل عمتها قد استمعت إلى كل حديثهم من خلف النافذة عندما كانت عائدة إلى المنزل لأخذ أغراضٍ نسيتها، الفتاة التي ظنت أن والديها يرفضان سعادتها وأن حبيبها الذي وافق على الابتعاد عنها بهذه البساطة دونما رغبة منه بالتمسك بها أو بالكفاح لأجلها قد كانت حقًا كما وصفتها في بداية حديثي... متهورة... وقد رمت بنفسها من أعلى الجسرِ ليجرف النهر جثتها التي ماتت غرقًا، الجار الذي رآها تتنصتُ على حديث أهلها قد كان شاهدًا على دافع انتحارها، وصاحبُ السوبرماركت الذي أكد أن رايفن قد كان يتسوق في حوالي الساعة العاشرة مساءًا قد أكد حجة غياب الفتى عن مسرح الجريمة، وهكذا فإن الطفلة العزيزة لوالديها قد انتحرت عند

الساعة العاشرة مساءًا كاشفة بذلك عن حقيقة واحدة فقط... أن المدعو رايفن ألتيمر ملعون، كلُ من يقترب منه يموت في النهاية.

في اليومِ التالي رأيته في المدرسة، لم يتغير بيننا شيءٌ كما لو أنه لم يهمس لي بحبه قبل يوم، نظراته الباردة وعزلته الفائقة لم تتبدد، لكنني قررت بالفعل الإقدام على فعلٍ مجنونٍ لن أنثني عنه، إذ سِرتُ نحوه حتى وقفت أمام دُرجه مباشرة، لم تفتني نظرات بعض الطلابِ الذين ركزوا مع فعلي لكني لم أكن لأتراجع، سحبت كرسيًا بقربي وجلست عليه بينما الابتسامة تشق وجهي وحدقتُ بالفتى الملعون...

"صباحُ الخير"

همستُ فتوتر الآخر وألهى بصره بكتابٍ أمامه ثم نطقتُ مجددًا:

"تيرتيا اختارت الموت لأنها كانت متهورة... هذا لا يعني أنك ملعون"

"مشاعِرُها تجاهي قد قادتها لهذا، لم تكن تيرتيا تملِكُ الخيار، إذًا فالخطأُ خطئي وحدي"

أجابني بحدة جعلتني أجفل وقد كان هذا كما اكتشفتُ اليوم جانبًا صاخبًا من شخصيته قابلتُه توًا، وأردتُ أن أعرِف المزيد.

" سكوندا آمور" كانت فتاة يافعة في الخامسة عشرة عندما انجرفت وراء حُب الفتى رايفن ألتيمر، كان كلاهما صغيرينِ يعيشان السن التي شرعا فيها بالتعرف على حياة الثانوية لأولِ مرة، سكوندا التي حاولت جاهدة إبقاء حبها سرًا لخجلها منه قد أُذِيت بشكلٍ سيءٍ للغاية أمام المدرسة كلها ذات يوم... قطعت المعلمة حديثها معي وهي تمسح طرف عينيها بمنديلٍ أبيض، كانت هي الشخص الوحيد الذي لديه تفاصيلٌ كافية ليحدثني عن سكوندا، وقد أخبرتني بعدما استجمعت ما يكفي من رباطة جأشها بتكملة القصة البائسة.

أعدَّ فتى كان يبغض رايفن أيما بغضٍ مقلبًا سخيفًا ليسخر منه على الملأ، سرق حقيبة الفتى الملعونِ ووضعها أرضًا أسفل شرفة الصف الخامس مباشرة، الطلابُ كانوا يسيرون جيئة وذهابًا وكلٌ يستعد للعودة إلى منزله وبينما كانت باحة المدرسة مليئة بالناس المنشغلين لمح

أحدهم حقيبة رايفن الذي يعرفها جيدًا... كانت تلك هي سكوندا التي استنكرت على رايفن المنظمِ الهادئ أن يرمي حقيبته بهذا الشكلِ فوق التراب، لذا اقتربت وليتها لم تفعل، وانحنت لتلتقِط الحقيبة وليتها لم تنحني؛ كان الخيط الرفيعُ الذي يربط الحقيبة بدلوٍ مملوءٍ بالماء قد قُطع فور سحبها للحقيبة ولذلك فقد انسكب الماءُ من على الشرفة العالية ليغمر الفتاة وسط تعجُبِ الجميع، شُلت المسكينة بالصدمة ولم تتحرك خطوة واحدة وكذلك فعل الفتى الذي حَضَر المقلب كاملًا، لكنَّ أحدًا من الحاضرين في الباحة لم يلاحظ خطرًا كبيرًا كان يحيط بالفتاة، وقفت وعقب الماءِ المُنسكِب أتى دلو الماء، كان معدنيًا ويسقُط من على ارتفاعٍ مؤذٍ ليصطدم برأس سكوندا بغتة... الجسد الذي بات على الأرضِ برأسٍ ينزف لم يكن من المُفترضِ أن يموت، صحيحٌ أنه قد غرق في دمائه لكن الإسعاف لو حضر سريعًا لكانت الفتاة بيننا اليوم، رايفن الذي رأى محبوبته مُصابة قد هُرِع ليحتضنها بين كفيه، في ذلك اليومِ بكى أمام كل المدرسة كطفلٍ رضيع، بكى حتى حسبته لن ينتهي وبحلول الوقتِ الذي استعاد فيه الناس بعضًا من وعيهم ليطلبوا الإسعاف كان أوانُ الإنقاذ قد فات... عاشت الطفلة يومينِ في حالة حرجة ثم توفيت وفارقت عالمنا.

لم أكن لأتخيل نفسي في ذلك الموقف، بحثتُ بذهني عن أكثرِ مَن أُحِب ولم أجد سوى أبي وقد تخيلتُ لو أن ذلك الموقف قد طاله أذاه أمامي، عذرتُ رايفن لأنَّ دموعه لم تتوقف لحظتها وقدرتُ كرم أهلِ الفتاة الذين قرروا مسامحة الصبي المتهورِ وعفوا عنه لأنه لم يكن يقصدُ حجم ما تسبب به مِن أذى، لو كان ذلك شخصًا آخر غير سكوندا لربما كان حيًا، لكن طبيعة جسدها الضعيف قد ساهمت إلى حدٍ ما في التعجيل بمصرعها.

إنه صباحُ اليوم الثالث، يفترضُ أن أُحقق حول الفتاة الأولى وأعلن لرايفن عن مسارِ قلبي في هذا اليوم، فكرتي عن كل ما حدث لا زالت غير واضحة جيدًا، رايفن الذي يبدو كما لو أنه مغلولٌ بسلاسل من سوء الحظ قد حرك حزني حتى بلغ مبلغه، وشخصيته الصامدة رغم كل الأذى الذي لاقاه لا تنفك تجذبني نحوه، في النهاية فإن سوء الحظ موجودٍ دونما جزمٍ بأنه لعنة، لكن ما أجزم بشأنه هو ألا علاقة لرايفن بأيٍّ مما حدث، لقد كان الضحية دائمًا...

"لكن هل يمكن لشخصٍ ما أن يكون الضحية دائمًا؟"

"أظنني سأبوح بكلماتِ حبي عند مساءِ هذا اليوم..."

"ولأُلعَن وأرى كيف ستقتُلني لعنته"

وضحكتُ... ضحكت بشدة وأنا أفكر بشيءٍ مخيفٍ وغير موجودٍ يُدعى لعنة.

كان احتفالُ يوم الحصادِ في المدرسة اليوم كبيرًا وصاخبًا بحق، قُسمنا إلى فرقٍ للعمل وقام المُطلعون منا بإعداد خطاباتٍ عن أهمية الزراعة والنباتات في حياة كل شخص، رايفن كان معهم يكتُب بهدوء، وأنا كنت أُنظِفُ أوراق الخضار وأضعها في السلة، مُلئت بالغضب ودعوت أن يأتيني الصبرُ لأستطيع انتظار انتهاء هذا الاحتفال السخيف، كان لديَّ قضية للتحقيق بها ومشاعرٌ للبوح بها!

اتضح أن الفتى المملوءُ بطاقة ونشاطٍ والذي يصغرنا بعامٍ والذي كانت أخطاؤه كافية لجعلِ عملنا معه شبه مستحيلٍ قد أفادني بحق؛ ما انفك يقطع الأوراق بشكلٍ خاطئ وقد جف حلقي وأنا أقومُ بإبداءِ ملاحظاتٍ لتحسينه هنا وهناك، في نهاية الأمر انفتح الفتى معي بالحديثِ وضحكنا سويًا ليقول في صدفة أحببتُها:

"أرى أن رايفن لم يتغير منذ الإعدادية"

لأسأله

"وهل تعرفه منذ الإعدادية؟"

"نعم... كان أكبر مني بعام"

"إذًا... لا بد من أنك تعرِفُ عن الفتاة التي أحبته وماتت وقتها، هل سمعت عن لعنة رايفن؟"

"تقصدين بريما أميكوس؟"

أخبرني الفتى الصغير أن رايفن كان في الصف الثالث الإعدادي عندما حدثت تلك الفاجعة وأنه لم يكن ليلاحظ حتى وجود شخصٍ يدعي رايفن ألتيمر لولا ذلك الحدث، يومها كان الفتى في الطابق الأول من المدرسة يحمل كتبه متوجهًا نحو قاعة الدرس في الطابق الثاني وعندما وصل إلى السلالم وجد كومة من الطُلابِ مُتجمعين حول منظرٍ شديد الحمرة أسفل السلم تبينَ لما اقترب منه أنها فتاة مُلقاة على الأرضِ محاطة ببركة دمٍ قانية، فزع أطفال الإعدادية وراحوا ليستدعوا المعلم ولم يدركوا أن تلك الحادثة القاسية سوف لن تكون قابلة للمحو من أذهانهم المفجوعة، هناك أعلى السلم من حيثُ قُدِّر للفتاة أن تسقط كان يقف طالبُ الصف الثالث رايفن، كان يرتجف من رأسه حتى أخمص قدميه ولم يستطع لحظتها حتى أن يصرخ، ويومها سقط في غيبوبة لم يتمكنوا من إيقاظه منها إلَّا بعد أن أغرقوه بالماء، نهض يصرخُ وينادي باسم رفيقته الميتة وقد أبعد المعلمون الفتى وكل الطلاب مانعين إياهم من سماعِ المزيد، وأولئك لم يستطيعوا معرفة تتمة الحكاية إلا بعد أيامٍ حينما انتهى التحقيق في الحادث وعاد زميلهم الملعون إلى المدرسة.

صمت الفتى الذي يقص عليَّ الحكاية الكئيبة وهو يتذكر شيئًا طفيفًا، أخبرني بأن وفاة سكوندا قد كانت في مثل هذا اليوم، كانوا هم أيضًا يحتفلون بيوم الحصاد ولم يعلموا أن نهاية احتفالهم عزاء.

رايفن وثلاثة طلابٍ آخرين كانوا شاهدين على ما يحدث وقد تطابقت أقوالهم، سكوندا كانت طفلة تعاني من الربو منذ ولادتها وقد هاجمتها نوبات المرض كثيرًا أثناء وجودها في المدرسة، في ذلك اليوم توجهت مع رايفن نحو غرفة الممرضة بغية أخذ العلاج أثناء مرورها بإحدى نوباتها لكنها توقفت على الدرج قبل إكمال نزولها لتُحادِث صديقها المقرب، جسدها الغير متزنٍ بفعل ضيق النفس قد خذلها بغتة وعندما أدركت أن قدمها قد زلت وأنها بدأت تسقط على درجات السلم كان أوان إنقاذها قد فات بالفعل، رايفن ومَن راقبوا الحادثة من بعيدٍ شلهم الخوف المطلق ونتيجة لذلك رحلت الفتاة الصغيرة دون أن ترى احتقال حصادٍ آخر.

انتهى الاحتفال عند الساعة الثالثة عصرًا وراح الجميع يعدون أنفسهم بإرهاقٍ بالغٍ للعودة إلى منازلهم، لم يكن أحدٌ متحمسًا بشكلٍ خاصٍ باستثنائي أنا التي اندفعت إلى مكان لقائي بالفتى الملعون وأنا على أهبة الاستعداد، لم أستطع ريثما أنتظره بصبرٍ نافذ أن أفسر تلك المشاعر التي تتراكم داخل صدري، الحوادث طبيعية للغاية بدون تدخل أية قوى خفية يُحتمل أن يُطلق عليها لعنة، ماتت الفتيات الثلاث في أماكن وأزمنة متفرقة ولا شيء يربط بينهن سوى حبهن لفتى اتضح أنه تعيسٌ ليس إلَّا، أنا كذلك مِثلهن قد جُذبت نحو تعاسته لكنني سأحيا بالتأكيد، إن كان موتهن مصادفة أو قدرًا فإن لي مسارًا مختلفًا بالتأكيد... أو أن هذا هو ما ظننتُه...

جاء اليوم وهو هادئ كالمعتاد، عيناه شديدتا السواد تحدقان باهتمام مكبوح وشعره المبعثر عادة بدا أقل فوضوية اليوم، حقيبته لا زالت معلقة على كتفه كما عهدتها دائمًا والابتسامة التي انتظرتها ولو على سبيل المجاملة لم تشق محياه أبدًا، أحبطني الأمر لكنّي أدركت أن التظاهر بالسعادة شيءٌ يفوق طاقته، هو لا يعيش؛ بل يتظاهر بأنه يعيش.

قصرتُ المسافة بيننا خطوة تقدمتُها بينما أحدثه:

"لقد بحثتُ في الأيام الثلاثة عن ماضيك يا رايفن..."

"نعم؟"

حثني على أن أُكمِل، فواصلت:

"ولقد توصلتُ إلى أن اللعنة مجرد هراء"

وأعقبت كلماتي بابتسامة عريضة وأنا أخبره بما لم أُخبِر به أحدًا قبله:

"لقد تيقنتُ من أن قلبي سيقبل حُبك، وسيُبادِلُك الحب"

ولم تبدُ المدرسة هادئة بالنسبة لي قط كهدوئها في تلك الثواني التي ابتسم فيها بانشراح، ابتسامة هادئة تحملُ أملًا يكفي ليجعل العالم يُزهِر، وقال لي:

"سأصونُ حبكِ... ويغمُرُني بالسعادة!"

ثم بات قلبي ينبِضُ بشعورٍ جديدٍ لم أعهده قبلًا، هذا حبي الأول، الفتى الملعون الذي سيكسر قدره بلقائي والذي لم أتوقع قط أنَّ حقيبته المعلقة على كتفه دائمًا تحتوي بداخلها سكينًا لامعًا وحادًا لتلك الدرجة!

بنفس تلك الابتسامة الهادئة تقدم نحوي وغرس سكينه ليغوص عميقًا في معدتي، تدفق الدم دافئًا ليخرج من فيَّ وقد شعرت أن كل ذرة قوة كانت باقية في جسدي قد ولت هاربة، شعره الأسود كان يتمرد على عينيه ونظرته الحادة قد تحولت إلى أخرى مُحِبة للغاية، شعرتُ بدفيء حبه الذي لم أتوقع أن يحرقني حتى الهلاك... وهمس الفتى الملعون بآخر ما سمعتُ من هذا العالم:

"انتِ لم تبحثي عن ماضيَّ بل عن ماضي أولئك الفتيات، أما لعنتي فليست بالهُراء؛ فاللعناتُ ليست بالضرورة قوى خارقة أو تدخلاتٌ سحرية في حياة البشر، أنا ملعونٌ لأنني اخترت هذا، الفتياتُ الثلاث قد لُعِنَّ لأنهن اخترن أن يمنحنني مشاعرهن، وهذه هي طريقتي في قبول تلك المشاعر وصونِها، لا ماضيًا كئيبًا يقود عقلي للجنونِ ولا تعذيبًا قد غسل مخي في صغري، أنا كما أنا لمجرد أني عبقري وجد أمثل طريقة لكي تكون الأشياء التي يحبها ملكه إلى الأبد، تيرتيا قد دفعتها من فوق النهر واشتريتُ شهادة صاحب السوبرماركت بمالٍ وفير، سكوندا قد أرسلتها لتجلب الحقيبة أمام أنظار الكل بينما أراقب من على البعد قلبها الذي سيُصان ويُحفظ إلى الأبد، أما بريما فقد دفعتها بخفة من دون أن يلحظ الواقفون في الأسفل شيئًا، أولا تعلمين أن لون الدماءِ القاني هو لون الحب؟ إن هذه الدماء التي تفيضُ من جسدكِ الآن لهي أكبرُ دليلٍ على أن قلبكِ سيبقى مُخلدًا لي وحدي"

بعد ذلك أدركتُ بينما جسدي يهوي ليستقر على الأرض الباردة أن الفتى الملعون قد خدعني وجعلني ساذجة طوال تلك الفترة الماضية، هل حياتي هي الثمنُ الأمثل الذي كان ينبغي عليَّ دفعه مقابل معرفة الحقيقة؟ أم هل عرفت الفتياتُ اللواتي لُعِنَّ قبلي بالحقيقة؟

أدركت أن بعض الأشخاص المجانين في هذه الحياة لا يمكن إصلاحُهم، وأدركت كذلك أنَّ لكل جريمة عقابًا عندما رأيتُ مجموعة من الشبابِ الذين يقفون خلف رايفن وقد شاهدوا ما جرى بأعينٍ متسعة، السكين الملطخة بدمي قد سقطت من يده التي باتت ترتعش رفقة ابتسامتي الأخيرة، إن كان قد كُتِبَ له النجاة من عقاب جريمته في مُصادفتين، وقُدِّر له النجاة في الثالثة، فإن المرة الرابعة شيءٌ لا علاقة له بالقدر أو بالمصادفات... المرة الرابعة هي الحق والعدل.

النهاية

يناير ٢٤. ٢٠٢٦

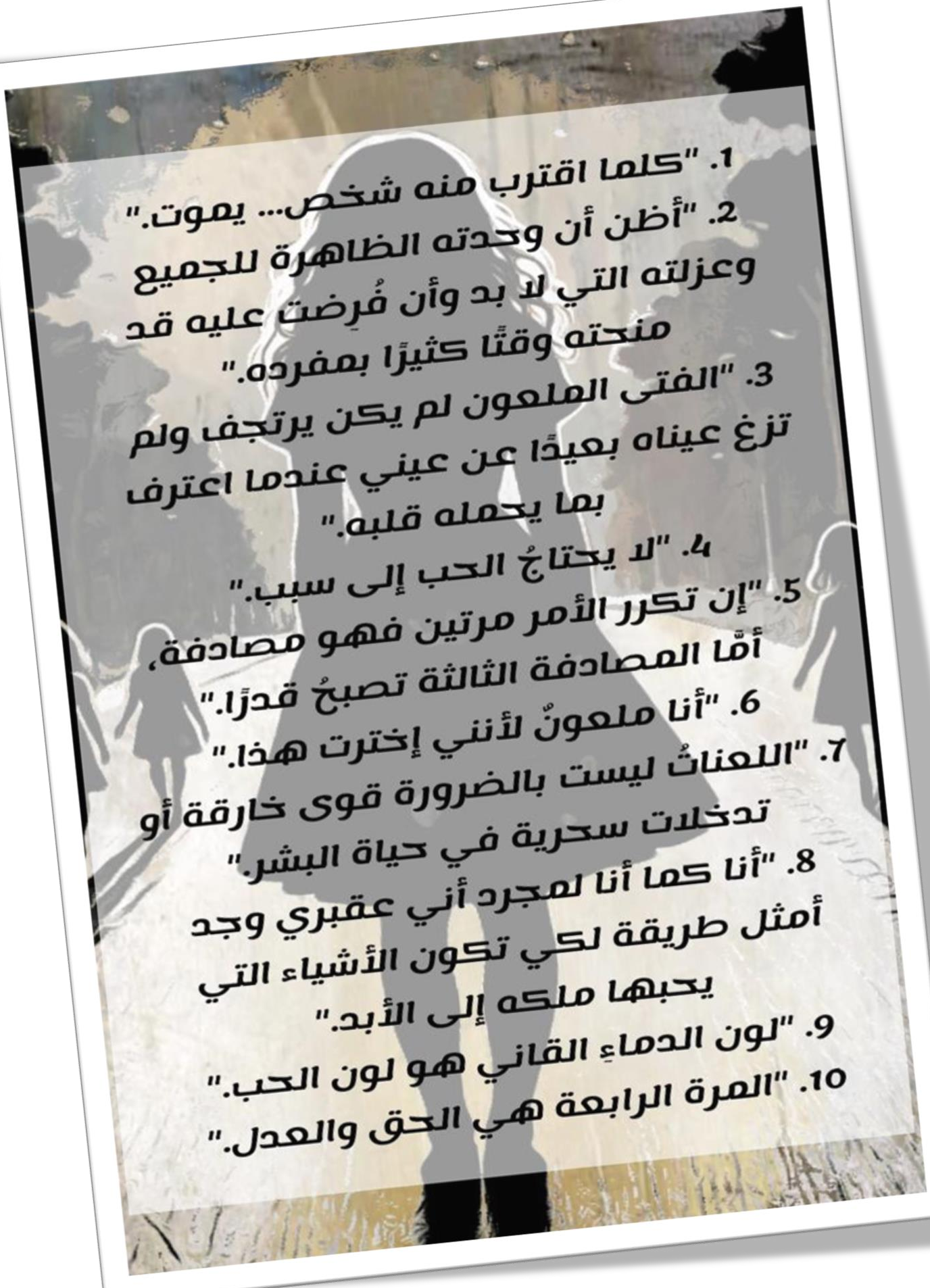
1. "كلما اقترب منه شخص... يموت."
2. "أظن أن وحدته الظاهرة للجميع
وعزلته التي لا بد وأن فُرِضت عليه قد
منحته وقتًا كثيرًا بمفرده."
3. "الفتى الملعون لم يكن يرتجف ولم
تزغ عيناه بعيدًا عن عيني عندما اعترف
بما يحمله قلبه."
4. "لا يحتاجُ الحب إلى سبب."
5. "إن تكرر الأمر مرتين فهو مصادفة،
أمَّا المصادفة الثالثة تصبحُ قدرًا."
6. "أنا ملعونٌ لأنني إخترت هذا."
7. "اللعناتُ ليست بالضرورة قوى خارقة أو
تدخلات سحرية في حياة البشر."
8. "أنا كما أنا لمجرد أني عقبري وجد
أمثل طريقة لكي تكون الأشياء التي
يحبها ملكه إلى الأبد."
9. "لون الدماءِ القاني هو لون الحب."
10. "المرة الرابعة هي الحق والعدل."